

# روعة الخلاص

يوسف قسطة

**All Rights Reserved**

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

## الفصل الأول

### القراءة من الكتاب المقدس

"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح, الذي حسب رحمته الكثيرة وُلدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات, لميراث لا يفنى ولا يندنس ولا يضمحل محفوظ في السماوات لأجلكم, أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير, الذي به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة, لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يمتحن بنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح, الذي وإن لم تروهُ تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن, لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد, نائلين غاية إيمانكم خلاص نفوسكم. الخلاص الذي فتنس وبحث عنه أنبياء, الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم, باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح, الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها. الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسكم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء, التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها" ( ١ بطرس ١ : ٣-١٢ ).

عندما نقول أن الخلاص رائع فمعنى ذلك أن المخلص رائع. فإن أحداً لا يعرف الخلاص إلا إذا عرف المخلص. ومتى عرف المخلص غمرته الدهشة والبهجة.

لقد مرّت مريم العذراء في هذا الاختبار, ولهذا قالت في تسبحتها الشهيرة: "تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي." والرسول بولس لم يبتهج فقط بل شعر بالفخر والاعتزاز إذ قال: "لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن." وفي رسالة غلاطية قال: "حاشا لي أن أفخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح." والمقصود بالصليب هنا ليس الخشبة التي صُلب عليها المسيح بل الصُلب نفسه الذي بواسطته تم الخلاص. وفي الإصحاح الثاني من رسالة العبرانيين يقول الكاتب مشيراً إلى عظمة الخلاص وروعته: "كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره", أي خلاصاً عظيماً بهذا المقدار. ويخبرنا الرسول بطرس, كما قرأنا في النص الكتابي في بداية الفصل, أنّ الخلاص أدهش الأنبياء وأثار فضول الملائكة. ولهذا قال: "نائلين غاية إيمانكم خلاص نفوسكم, الخلاص الذي فتنس وبحث عنه أنبياء... الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم, باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي كان فيهم." ثم يضيف إن هذه الأمور المتعلقة بالخلاص "تشتهي الملائكة أن تطلع عليها".

أجل, الخلاص رائع وعظيم, وذلك لعدة أسباب سأذكر منها سببين تاركاً الباقي للفصل التالي.

أولاً، الخلاص رائع لأنه خلاص ربّاني. ومعنى هذا القول ليس فقط أن الرب صنع الخلاص، بل بالأولى إن الرب بشخصه تدخل مباشرة في إنجاز هذا الخلاص. فهو لم يستخدم البشر لإنجازه كما لم يستخدم الملائكة الذين هم أرفع رتبة من البشر. ففي بعض المناسبات استخدم الله الملائكة، كما فعل لما أعطى الناموس لموسى. وهذا واضح من كلام الإنجيل "الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه" (أعمال ٧: ٥٣). "فلماذا الناموس. قد زيد بسبب التعديّات إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له مرتباً بملائكة في يد وسيط" (غلاطية ٣: ١٩). وفي مناسبات أخرى استخدم الله البشر، ولهذا قيل في عبرانيين إن "الله كلم الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة." أما في موضوع الخلاص فلم يكلمنا بالملائكة والأنبياء بل "كلمنا في ابنه"- أي أنه تدخل شخصياً في الموضوع. وبناءً على ذلك يقول كاتب العبرانيين مشيراً إلى الفرق بين الناموس والخلاص: "إن كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة (أي الناموس) قد صارت ثابتة وكلّ تعديّ ومعصية نال مجازاة عادلة، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به؟" وهذا الخلاص لم يكن ارتجالياً بل وضعت تفاصيله منذ الأزل. ولهذا السبب نقرأ في كلمة الله عن أمر يدعى "مشورة الله" وعن كون المسيح "مشيراً" والروح القدس "روح المشورة". فالمشورة هي تلك التي تمت في الأزل بين الأب والابن والروح القدس، حيث تطوّع في أثنائها الأقدوم الثاني ببذل نفسه من أجل البشر. وإلاّ فما المقصود بقول الكتاب إن المسيح "قدّم نفسه لله بروح أزلي" وإن "دم المسيح... معروف سابقاً قبل تأسيس العالم"، كما يخبرنا الرسول بطرس في رسالته الأولى.

من أجل هذا مهّد الله للفداء في التاريخ، وهياً لمجيء المخلص من طريق الذبائح وسواها من الرموز والصُور والشارات. "وعند ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة." وقد عبّر المسيح عن غرضه من المجيء إلى العالم فقال: "إنّ ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك." وبالفعل تمّ المسيح الخلاص على الصليب إذ قال: "قد أكمل"، وقوله "قد أكمل" معناه أن الخلاص كامل، ولا يمكننا أن نضيف عليه شيئاً. فالكامل لا يحتاج إلى تكميل، ولا إلى تجميل، ولا إلى تعديل. وخلاص الرب لا يحتاج إلى مال، ولا إلى أعمال، ولا إلى نضال، لأنه خلاص كامل ورائع وعظيم. وبما أنه رائع وعظيم فمن المخيف جداً إهماله أو رفضه (عبرانيين ١٠: ٢٨).

ثانياً، الخلاص رائع لأنه خلاص مجّاني. وكونه مجّانياً لا يعني أنه رخيص أو بلا قيمة، بل على العكس، إنه غالٍ وكريم. وهذا ما جعل الرسول بطرس يقول لقراءته: "عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب... بل بدمٍ كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح." فالخلاص مجّاني لكي لا يُحرم منه أحد حتى ولو كان فقيراً أو مريضاً أو أمياً. وما دام الأمر كذلك فلا عذر لأحد إن رفض المسيح.

يتحدث الرسول بولس عن مجّانية الخلاص مستخدماً ثلاث لفظات. اللفظة الأولى هي النعمة. والنعمة معناها الهبة أو الهدية. ففي الإصحاح الثاني من الرسالة إلى أهل أفسس يقول رسول المسيح: "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان. وذلك (أي الخلاص) ليس منكم هو عطية الله." أجل، الخلاص عطية وهدية. والهدية لا تحتاج إلى جهود بل إلى قبول مقرون بالشكر للمعطي. وللخلاص جانبان: خلاصٌ من- أي من الخطية وعقابها، وخلاص إلى- أي إلى الحياة الأبدية. ولهذا يقول الكتاب المقدس: "أجرة الخطية هي موت، أما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا."

اللفظة الثانية هي الرحمة. يقول بولس الرسول في الإصحاح الثالث من رسالته إلى تيطس إن الله "بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس". وبالمعنى عينه كتب الرسول بطرس في الإصحاح الأول من رسالته الأولى يقول، إن الله "من أجل رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات." لذلك عندما يأتي الخاطيء إلى الرب يجب أن يقول له كما قال العشار: "اللهم ارحمني..." ولماذا "ارحمني"؟ لأن الخلاص هو عطية لا نستحقها، فلولا رحمة الرب لما كان لنا أمل في الخلاص والغفران. فحذار تأجيل طلب الرحمة، وإلا فستقع في الخطأ عينه وستحصد المصير عينه الذي حصده الغني في إنجيل لوقا الإصحاح ١٦ حين شرع يطلب الرحمة بعد فوات الفرصة، فجاءه الجواب: "يا ابني اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك...."

اللفظة الثالثة هي المحبة. يقول الرسول في الإصحاح الخامس من رسالته إلى رومية: "إنّ الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا." وهذا يتفق مع قول المسيح في إنجيل يوحنا ٣: ١٦: "لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به... فهل أمنت به؟ اذكر أن الإيمان الصحيح مقرون بالتوبة. والتوبة الحقيقية مقرونة بالاعتراف بالخطية. والاعتراف بالخطية مقرون بالإقلاع عن الخطية." فمن يكتف خطاياها لا ينجح، ومن يُقرّ بها ويتركها يُرحم.

## الفصل الثاني

### القراءة من الكتاب المقدس

"وكما رفع موسى الحيّة في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يُدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة، إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا توبّخ أعماله. وأمّا من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة" (يوحنا ٣: ١٤-٢١).

قلنا إنّ روعة الخلاص هي من روعة المخلص. والمخلص رائع بشهادة الملائكة والأنبياء والرسل وسائر القديسين. وقد تناول البحث في الفصل السابق نقطتين هامتين وهما: إنّ الخلاص ربّاني وأيضاً مجّاني. والآن نبحت في نقطتين أخريين وردتا في المقطع أعلاه من إنجيل يوحنا.

النقطة الأولى هي أن الخلاص رائع لأنه عمومي. وبقولي إنّ الخلاص عمومي لا أقصد هو بالجملة أو أنّ كلّ الناس سيختبرونه. ثمة مَنْ ينادي بخلاص الجميع في نهاية المطاف، وذلك من طريق التّقصّ والعودة إلى الحياة مراراً وتكراراً، الأمر الذي يجعلهم يمرّون في مراحل من التقنية والتصفية إلى أن يصلوا إلى المستوى المطلوب. ولكن هذا التعليم غريب عن كلمة الله التي تقول في ٢ تسالونيكي ٣: "إن الإيمان ليس للجميع"، فضلاً عن أنها تقول إن الله وضع للناس "أن يموتوا مرة وبعد ذلك الدينونة." فلو كان الخلاص من نصيب الجميع لما كانت هناك دينونة.

فما المقصود إذاً بأن الخلاص عمومي؟ المقصود هو ثلاثة أمور. أولاً، إنّ الخلاص يشمل الخطاة كلّهم. ثانياً، إنّ الخلاص يشمل الخطايا كلها. وثالثاً، إنّ الخلاص يشمل الخاطي كلّهم. وليس جزءاً منه فقط.

نعود إلى الفكرة الأولى وهي إنّ الخلاص يشمل الخطاة كلّهم. فبما أن البشر كلّهم خطّاة، فمعنى ذلك أنّ الخلاص يشمل العالم كلّهم، بمعنى أن المسيح بذل نفسه لأجل الجميع من دون استثناء. هذا ما عناه الرب بقوله: "هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد." وهذا ما عناه بولس حين قال في ١ تيموثاوس ٤: ١٠: "إنّ الله الحيّ هو مخلص جميع الناس." وهذا ما عناه يوحنا بقوله في الإصحاح الثاني من رسالته الأولى: إنّ المسيح هو

"كفارة لخطايا كل العالم أيضاً." فالرب أحبّ الجميع وبذل جسده ودمه من أجل الجميع بحيث أن أحداً لا يقدر أن يقول: إنّ المسيح لم يمت من أجلي أو عوضاً عني. ولكن المؤسف هو أن كثيرين لا يستفيدون من فرصة الخلاص الموهوبة لهم في المسيح، بل يغامرون بنفوسهم الخالدة ويقامرون بها. وحقّة بعضهم هي أنهم ليسوا من المختارين. وينسى هؤلاء أنّ الاختيار له جانبان لا جانب واحد. صحيح أنّ الله هو البادي بالاختيار، ولكن كلمة الله تعلم أنّ من واجب الإنسان أيضاً أن يختار الله بمحض إرادته. فالاختيار متبادل. فهل أنت اخترت الرب واتخذته مخلصاً لحياتك؟ إن كان جوابك بالإيجاب، فهنيئاً لك. أمّا إن كان نفيّاً، فلا تضع اللوم على الرب بل على نفسك.

الفكرة الثانية هي أن الخلاص يشمل الخطايا كلّها- أي خطايا الماضي والحاضر والمستقبل، لأنّ الغفران الذي يهبه الرب إنما هو غفران كامل شامل. فهو إمّا إنه يمنح الإنسان غفراناً كاملاً وإما لا يمنحه شيئاً على الإطلاق. فلما قال المسيح للمفلوج وللمرأة الخاطئة: "مغفورة لك خطاياك" و "مغفورة لك خطاياك" فهو لم يقصد بعض الخطايا بل الخطايا كلّها. وهذا ما يجعل المؤمن التائب متأكد من خلاص نفسه ومطمئناً إلى مصيره الأبدي. وإلا فسيبقى مترجماً بين الشك واليقين. وهذه حالة تعيسة لا يُحسد عليها.

الفكرة الثالثة هي أنّ الخلاص يشمل الخاطئ كلّه من قمة الرأس إلى أخمص القدم، بمعنى أنه يشمل الروح والنفس والجسد. خلاص الروح أو تجديد القلب تتم مرة واحدة إذ يستطيع المرء أن يقول بعدها: "الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً." أمّا خلاص النفس الذي له علاقة بتجديد الذهن فهو أمر متكرر. ولهذا ينصح الرسول بولس المؤمنين في رومية ١٢ قائلاً: "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة." وفي الإصحاح الرابع من رسالة أفسس يطلب إلى المؤمنين أن "يتجددوا بروح ذهنيهم." والغرض من تجديد الذهن المتكرر هو التخلص من الانطباعات الشريرة التي رسخت في الفكر مع الزمن، والاستعاضة عنها بانطباعات مقدسة جديدة تجعل الفكر طاهراً ونظيفاً. إلا أنّ الخلاص أو الفداء لا يقف عند حدود النفس والروح بل يشمل الجسد أيضاً. وهذا واضح من آيات كثيرة تتناول هذا الموضوع. ففي رسالة ١ كورنثوس الإصحاح ١٥ تقول كلمة الله: "لا نرقد كلّنا ولكننا كلّنا نتغيّر في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير." وفي رسالة ٢ كورنثوس الإصحاح ٥ يقول الوحي على لسان بولس الرسول: "إن نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي (أي الجسد) فلنا في السماوات بناء من الله، بيت مصنوع بيد أبدي." وفي رسالة فيلبي الإصحاح الثالث يؤكد الرسول نفسه على حقيقة فداء الأجساد وصيرورتها أجساداً جديدة، قائلاً: "إن الرب يسوع المسيح سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده." إذاً، الخلاص رائع لأنه عمومي. والخلاص رائع أيضاً لأنه خصوصي. فالمسيح الذي قال: "هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد"، قال

أيضاً: "لكي لا يهلك كل من يؤمن به." والعبرة: "كل من" معناها "كل فرد". وهذا يشير إلى أنّ الخلاص والفداء والغفران هي جميعها فردية شخصية اختيارية. فالمسيحية هي ديانة فردية لا ديانة وراثية ببعائية. ولهذا شدد المسيح ورسله على أهمية العمل الفردي- أي العمل على هداية الأفراد. وقد هدى الرب عدداً منهم, ومن بينهم: اللص والسامرية وزكّا العشار والأعمى الذي شهد قائلاً: "كنت أعمى والآن أبصر." أما الرسل والمبشرون فقد هدوا أناساً مثل سجان فيلبي وليديّة وكرنيليوس والوزير الحبشي وسواهم, ممن أتى على ذكرهم سفر أعمال الرسل. وقد شهد بولس الرسول عن إيمانه كفرّد فقال: "أنا عالم بمن آمنتم وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم."

عزيزي القارئ, خلاص النفس البشرية هو أهم شيء في الدنيا. ولو لم يكن الأمر كذلك لمّا قال المسيح: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه." فهل اختبرت خلاص الرب المجاني على أساس التوبة والإيمان بعمل المسيح الكامل على الصليب؟ هل تقدر أن تقول إنّ المسيح غسل قلبك بدمه المسفوك وغفر خطاياك؟ هل تقدر أن تقول إنّك صرت ابناً لله بالولادة الثانية بعمل الروح القدس, وإنّ اسمك مكتوب في سفر الحياة؟ إن كان جوابك إيجاباً فإني أهنيئك من كل قلبي لأنك أخي في المسيح. أمّا إن كان نفيّاً, فإني أقول لك بمحبة وصدق, إنّك تخاطر بنفسك حتى ولو كنت متديناً وتمارس الطقوس والشعائر الدينية. وفي الوقت عينه أوكد لك أنّ باب النعمة والخلاص لم يُغلق بعد, وبوسع الربّ الآن من كل قلبك وتطرح نفسك على رحمته لخلاص نفسك. قل له بقلب صادق ومنكسر وتائب: "اللهم ارحمني أنا الخاطيء", ولا تتكل على أعمالك وجهودك, إذ إنّ المسيح قد أكمل كلّ شيء على الصليب. هل تفعل ذلك الآن لتنتال الخلاص والغفران؟

## الفصل الثالث

### القراءة من الكتاب المقدس

"وكان الشعب واقفين ينظرون. والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين خلّص آخرين فليخلّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله. والجند أيضاً استهزأوا به وهم يأتون ويقدمون له خلاً قائلين، إن كنت أنت ملك اليهود فخلّص نفسك. وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية، هذا هو ملك اليهود. وكان واحد من المذنبين المعلقين يجذّف عليه قائلاً، إن كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلاً، أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه. أمّا نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله. ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع الحق أقول لك، أنك اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا ٢٣: ٣٥-٤٣).

روعة الخلاص وروعة المخلّص شيء واحد. فلا خلاص بلا مخلص. والمخلص مشهود له من جهات عدة. الأنبياء شهود له من موسى حتى ملاخي. لهذا استطاع بطرس أن يقول في بيت كرنيليوس: "له يشهد جميع الأنبياء أنّ كلّ من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا." والكتب المقدسة شهدت له ولخلاصه ممّا جعل بولس يكتب في ١ كورنثوس ١٥ قائلاً: "إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب." والملائكة شهدت له بفرح. فعند مولده قال الملاك للرعاة: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم، أنه وُلد لكم اليوم مخلص." وأهل السامرة شهدوا له لمّا قالوا للمرأة السامرية: "نحن نعلم أن هذا هو بالحق مخلص العالم." ويوحنا المعمدان، الذي هو أعظم من وُلد من امرأة، شهد له قائلاً: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم."

فالمخلص عظيم ورائع، وكذلك خلاصه. وقد سبق وبحث في هذا الموضوع مرتين: في الفصل الأول قلت إنّ الخلاص رائع وربّاني ومجّاني، وفي الفصل الثاني قلت إنّ الخلاص رائع لأنه عمومي وخصوصي. ويبقى أمامنا أربع نقاط سنعالجها على دفعتين- أي الآن وفي الفصل التالي. وعسى أن يعطينا الله بصيرة لفهم الحق ونستوعبه ونفهمه.

النقطة الأولى هي أن الخلاص رائع لأنه فوري. سألني أحدهم: "هل الخلاص يتم في لحظة أم أنه يحتاج إلى جهود؟" وكان جوابي إليه مبنياً على كلمة الله، لأن كلام الرب هو رب الكلام. فماذا يقول الكتاب المقدس بهذا الشأن؟

في النص الكتابي المأخوذ من إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ والذي ورد في بداية هذا الفصل نجد صورة واضحة عن السرعة التي يخلّص بها الرب الإنسان. فاللص المصلوب

بجانبه لم يكن يعلم أن الرب يخلص الخاطيء في لحظة ولذلك قال له: "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك." فكان جواب المسيح: "الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس." وقد فعل الرب الشيء عينه في بيت زكّا, رئيس العشارين, لما قال له: "اليوم حصل خلاص لهذا البيت." فمن الواضح أن اللص وزكّا نالا الخلاص فوراً بمعزل عن الجهود البشرية. وللمزيد من الوضوح يمكننا أن نطرح على أنفسنا بعض الأسئلة. مثلاً: هل شفى يسوع المرضى في لحظة؟ نعم, يقول الكتاب. ففي إنجيل متى الإصحاح ٨, نقرأ أن الأبرص "ظهر برصه للوقت" أي فوراً. وفي لوقا الإصحاح ٤, نقرأ أن المسيح "انتهر الحمى" من حماة بطرس "وفي الحال قامت."

ثمة سؤال آخر: هل قدر المسيح أن يقيم الموتى في لحظة؟ هل قام ابن أرملة نايين حين قال له يسوع "قُمْ"؟ هل خرج لعازر حياً من قبره حين ناداه المسيح قائلاً: "هَلَمْ خارجاً"؟ نعم يقول الكتاب. فابن الأرملة جلس فوراً ولعازر خرج فوراً.

وثمة سؤال آخر: لما خلق الله العالم, كم استغرق خلق النور؟ هل أياماً وشهوراً وسنين, أم إنه تم في لحظة؟ تقول كلمة الله أنه قال: "ليكن نور" وفي الحال "كان نور". ويعلق بولس على خلق النور في ٢ كورنثوس ٤, مشبهاً إياه باختبار الخلاص فيقول: "إن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح." وفوق هذا كله, ماذا يقول الوحي عن التغيير الذي سيحلّ بأجساد المؤمنين عند مجيء الرب ثانية؟ يقول بولس في ١ كورنثوس ١٥: "هوذا سرّ أقوله لكم, لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغيّر في لحظة في طرفة عين." فما دام الله قادراً على تغيير الأجساد في لحظة, فهل يعجز عن تغيير الأرواح في لحظة؟ طبعاً لا. وإن كان الله لا يقدر أن يغيّر الإنسان ويمنحه الخلاص فوراً, فَمَنْ يقدر؟ لذلك نقول: إن كان الله لا يقدر أن يخلص الخاطيء في لحظة فلا يكون الله الله.

من المؤسف جداً أن بعضهم يصف اختبار الخلاص في لحظة بأنه بدعة, في حين أنه روعة. ويقولهم هذا بيرهنون عن شيئين على الأقل. أولاً, إنهم لم يختبروا الخلاص. وثانياً, إنهم يجهلون كلمة الله. وقد قال المسيح: "تضلّون إذ لا تعرفون الكتب المقدسة ولا قوة الله." فالخلاص رائع لأنه فوري.

النقطة الثانية, هي أنّ الخلاص رائع لأنه جذري. أي أنه يعالج مشكلة الإنسان من أساسها ومن أصلها. فهو كمبضع الجراح الذي يستأصل السرطان من جذوره. والخطية هي سرطان. وهذا السرطان لا يشفيه إلا قوة الله. والإنجيل هو "قوة الله للخلاص", كما يقول الرسول بولس في رومية ١, ولا شفاء من مرض الخطية إلا بواسطة الإنجيل المؤسس على موت المسيح ودفنه وقيامته. لذلك, في الإنجيل خلاص لكلّ جيل.

ما أكثر الديانات التي تحاول أن تعالج سرطان الخطية بالمرهم والمهدئات الوقتية كالصلاة والصوم والصدقة والذهاب إلى المعابد وزيارة الأماكن المقدسة. وتكون النتيجة أنّ الخاطيء يبقى على حاله، بل أنه يزداد سوءاً يوماً بعد آخر، وهو يظن أنّ الله راضٍ عنه، في حين أنّ العكس هو الصحيح.

تقول كلمة الله، إنّ شيئاً لا يغسل قلب الإنسان ولا يزيل الخطية المستقرة فيه إلا دم المسيح. قال داود في المزمور ٥١ مخاطباً الله: "اغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيبي طهرني... اغسلني فأطهر وأبيض أكثر من الثلج." والاعتسال هنا هو الاعتسال الداخلي بالدماء لا بالماء. وفي الموضوع عينه يقول الرسول بولس للمؤمنين في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح ٦: "لا تضلّوا، لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله." ثم يقول لهم: "وهكذا كان أناس منكم، ولكن اغتسلتم (أي بدم المسيح) بل تقدستم بل تبرّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا." هذا هو الاعتسال الداخلي الذي من دونه لن يرى أحد ملكوت السموات، وإلاً فلماذا قال المسيح في يوحنا ٣: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله." والماء هنا يرمز إلى الاعتسال الداخلي الذي يزيل الخطية من القلب. وهذا ينفق مع قول بولس في رسالته إلى تيطس الإصحاح ٣: إن الله "بمقتضى رحمته خلّصنا"، وكيف خلّصنا؟ "بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس". ومتى خلّص المرء من الخطية خلّص أيضاً من سلطة إبليس، ومن خوف الموت والدينونة. قال يسوع في يوحنا ٥: "من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة." هذا هو الخلاص الرائع الذي أنصحك بقبوله الآن، وستجد فعلاً أنه فوري وجذري.

## الفصل الرابع

### القراءة من الكتاب المقدس

"أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات, حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم. وفي ذهابه حدث أنه اقترب من دمشق, فبغتةً أ برق حوله نورٌ من السماء. فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له, شاول شاول لماذا تضطهذي. فقال, من أنت يا سيد. فقال الرب, أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعبٌ عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحيراً, يا رب ماذا تريد أن أفعل. فقال له الرب, قم ادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق. وكان ثلاثة أيام لا يبصر, فلم يأكل ولم يشرب.

وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا. فقال له الرب في رؤيا, يا حنانيا, فقال, هأنذا يا رب. فقال له الرب, قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم واطلب من بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول" (أعمال ٩: ١-١١)

"فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يده وقال, أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس. فلوقت وقع من عينه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد. وتناول طعاماً فتقوى. وكان شاول مع التلاميذ في دمشق أياماً. وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله" (أعمال ٩: ١٧-٢٠).

لو لم يكن الخلاص رائعاً لمل شهد له الملائكة والأنبياء والرسل والقديسون. ولو لم يكن الخلاص رائعاً لما كتب المرثم قائلاً: تم الخلاص هللوا رنموا لربنا يسوع. ولو لم يكن الخلاص رائعاً لما خصصت للموضوع أربعة فصول متتالية. ففي الفصل الأول, قلنا إن الخلاص ربّاني ومجاني. وفي الثاني, قلنا أنه عمومي وخصوصي. وفي الثالث, قلنا إنه فوري وجذري. وفي هذا الفصل سيدور البحث حول النقطتين الأخيرتين, الأولى, هي أنّ الخلاص رائع لأنه ثوري. والثانية, هي أنّ الخلاص رائع لأنه دهري.

ماذا نقصد بالخلاص الثوري؟ المقصود هو أن خلاص المسيح يقلب أوضاع الإنسان الداخلية رأساً على عقب. أي إن تغييراً كبيراً يطرأ على حياة الإنسان المخلص, وهذا التغيير يكون ظاهراً للجميع من خلال المواقف والتصرفات والأعمال. فإن كان الإيمان لا يغيّر الإنسان فما نفع الإيمان؟

تلجأ بعض الديانات البشرية إلى استمالة الناس إليها، إمّا من طريق المال، وإمّا من طريق الوعود والكلمات المعسولة، ولكنّ شيئاً لا يتغيّر في حياة أولئك الناس. فالكاذب والحقود حقوداً والسارق سارقاً والزاني زانياً والحسود حسوداً والسكّير سكّيراً والمزواج مزواجاً، وهكذا دواليك. ولكن خلاص الرب يُجري معجزة داخلية في القلب ويغيّر الحياة بصورة دائمة، بحيث يتحوّل النجيس إلى قديس والفاجر إلى طاهر واللدود إلى ودود. بكلمة أخرى، يصير الذئب حملاً تماماً كما حصل مع شاول الطرسوسي، المدوّنة قصته في أعمال ٩ وهو الإصحاح الذي تصدر هذا الفصل. وهذا أكبر برهان على قدرة الله الخارقة، وعلى قوة صليب المسيح وقيامته من بين الأموات. ومتى تم هذا التغيير كانت النتيجة على النحو التالي:

أولاً: تحلّ المحبة مكان البغضة. يقول بولس الرسول الذي كان اسمه شاول الطرسوسي في رومية ٥: ٥: "إنّ محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا." أي إنّ محبة الله لا تأتي بمعيرة الولادة الجديدة إلى المؤمن المخلّص، وإلاّ فكيف يقدر المؤمن أن يحب القريب والغريب حتى العدو؟ أليست هذه ثورة من عمل الله؟

ثانياً، يحلّ الفرح مكان الكآبة. فالفرح كالمحبة من ثمار الروح القدس. لذلك لا غرابة في أن نقرأ في أعمال ٨ أنّ الوزير الحبشي الذي آمن على يد فيلبس المبشّر "ذهب في طريقه فرحاً." ولا غرابة أيضاً في أن يخبرنا الوحي في سفر أعمال الرسل الإصحاح ١٦ أنّ سجّان فيلبي "تهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله"، مع العلم أن هذا السجّان نفسه كان في الليلة ذاتها مزمماً أن ينتحر. فما الذي أجرى هذا الانقلاب، وهذه الثورة في حياته؟ شيء واحد يدعى الخلاص. والخلاص هو بالمخلّص يسوع المسيح لا سواه.

ثالثاً، يحلّ السلام مكان الخوف والخصام. تقول كلمة الله في رومية ٥: ١: "إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح." وهذا السلام ليس فقط سلاماً بين الإنسان وخالقه، بل أيضاً بين الإنسان وأخيه، وبين الإنسان ونفسه. فالاغتراب يتحول إلى اقتراب والانقسام يتحول إلى وئام وسلام، ومن دون هذا السلام لا يقدر المرء أن يواجه الموت بثقة وطمأنينة. قال سمعان الشيخ لمّا رأى الطفل المخلّص في الهيكل وحمله على ذراعيه: "الآن تطلق عبدك يل سيّد حسب قولك بسلام، لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك."

رابعاً، يحلّ الرجاء مكان اليأس. الإنسان من دون المسيح هو مسكين. يذكر بولس المؤمنين في أفسس بماضيهم قبل نوال الخلاص فيقول لهم: "كنتم بدون مسيح... لا رجاء لكم..." ولكنه يعود فيذكرهم بما فعله الرب في حياتهم فيقول: "ولكن الآن في المسيح أنتم البعيدين صرتم قريبيين بدم المسيح." فالفضل في هذا التغيير هو للرب الذي صُلب وقام

لأجلهم ولأجلنا. يقول بطرس الرسول في الإصحاح الأول من رسالته الأولى, إنّ الله "من أجل رحمته الكثيرة وُلدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات."

خامساً, تحلّ الغلبة مكان الهزيمة. فالإنسان من دون الإيمان الحقيقي بالرب يعيش مغلوباً من عاداته وطباعه وأنايته, ولكن في المسيح يصير غالباً منتصراً. يقول بولس للمؤمنين في رومية: "فإنّ الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة." وهذا يعني أن المغلوب يتحرّر من الخطية ويصير لسان حاله: "أستطيع كل شيء في المسيح يسوع الذي يقوّيني."

عزيزي القارئ, إنّ كنت تعيش في حالة من البغضة واليأس والخوف والكآبة فهذا أكبر برهان على أنك لم تختبر الخلاص, وأكبر برهان على أنك في حاجة إلى المسيح "الذي ليس بأحد غيره الخلاص." اصرخ إليه الآن واذكر "إن الرب قريب من الذين يدعونه بالحق."

النقطة الثانية, هي أنه رائع لأنه دهري. أي أنّ خلاص المسيح هو خلاص دائم دوام الأبدية. فهو ليس لسنة أو عشرة أو مئة بل مدى الدهر والأبد. وهذا يعني أنه يختلف عن كلّ إنقاذ آخر. ففي بعض الأحيان نسمع أو نقرأ عن وضع سياسي متدهور في بلدنا. وفي هذه الحالة يدور البحث عن شخص يتزأس حكومة يسمونها حكومة إنقاذ أو حكومة خلاص. وأحياناً يأتي الخلاص المتوقع وأحياناً أخرى لا يأتي, ولكن حتى عندما يأتي فالخلاص لا يدوم طويلاً. ولهذا تتغيّر الحكومات والزعامات شهراً بعد آخر وسنة بعد أخرى. والشيء عينه يصحّ على الإنقاذ العسكري والإنقاذ الاقتصادي وغير ذلك. لأن كل ما يفعله البشر إنما هو وقتي. أما خلاص الرب فالإيمان بالله وبن الإنسان يسوع المسيح. وعلى هذا الأساس يمكنك أن تطمئن إلى مصيرك الأبدي. وعلى هذا الأساس تقدر أن تقول مع بولس الرسول: "أنا عالم بمن أمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم."

هذا هو الخلاص الرائع الذي ننادي به. هذا هو الخلاص الذي يقدمه لك الرب اليوم. فإن قبلتُه الآن اختبرتَ بنفسك صحة هذا الكلام وصرت من أولاد الله بعمل الروح القدس ودم المسيح. تعال إلى الرب الآن قبل فوات الأوان. فهو قد تمّم الخلاص وأعدّ لك كلّ شيء. فهل تأتي؟ وهل تقبل؟ افعل ذلك لأجل خير نفسك في الدنيا والآخرة.

الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل